

سرد الذات والبحث عن المرئية عبر مواقع التواصل
الاجتماعي
دراسة تحليلية للتفاعلات البينذاتية الرقمية في الصفحات
الجزائرية عبر الفيسبوك

**Self-Narration and the Search for Visibility
through Social Network sites**
*Analytical Study of digital Intersubjective
Interactions on Algerian Facebook Pages*

د. هاجر ميرزة^{1*}، د. إيمان باهي²

¹ جامعة سطيف 2، h.mirza@univ-setif2.dz

² جامعة الجزائر 3، bahi.imane@univ-alger3.dz

تاريخ القبول: 2022/06/26

تاريخ الاستلام: 2022/06/04

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الكيفية إلى الوقوف عند كل من إمكانية وحدود تأثير التفاعلات البينذاتية الرقمية على مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك في إطار استعراض الذات من خلال عملية تمشهد هدفها "المرئية". هذه المرئية الرقمية تعتمد على احتساب عدد التفاعلات الرقمية التي تمنح الأفراد المنخرطين فيها على أن يروا ويكونوا مرئيين، وأن يسمعون ويكونوا مسموعين كما جاء عند لينكون دالبرج Lincoln Dahlberg. توصلت الدراسة باعتماد "الإثنوغرافية الافتراضية" لصفحات فيسبوكية جزائرية إلى أن عملية سرد الذات قد حققت نوعا من المرئية الجديدة عبر التفاعلات البينذاتية الرقمية، والتي تؤدي إلى تعزيز قضية الوجود الهوياتي لدى الذات المتصلة، كما أن هذه

* المؤلف المرسل

الأخيرة قد وسعت نطاق تشكيل الروابط الافتراضية مع مختلف الزمر الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: البينداتية الرقمية، الذات، المرئية، الإثنوغرافية الافتراضية، سرد الذات

Abstract:

This qualitative study aims at examining both the possibility and the impact of digital interpersonal interactions on social networking sites within the framework of self-review through a process of witnessing the "visibility" aim. This digital visibility depends on calculating the number of digital interactions which help the individuals to be involved in the publication, so "To see and to be seen, to hear and to be heard" (Lincoln Dahlberg).

After following the steps of qualitative research by adopting the "virtual ethnography" of Algerian Facebook pages, the study reached many results. The most important of which is that the process of self-narration has achieved a kind of new visibility through digital interactions. This strengthens the issue of the existence of identities among connected selves. It has also expanded the scope of forming virtual links with the various social groups

Keywords: *digital subjectivity; self; visibility; virtual ethnography; self-narration*

مقدمة

يمس المشهد الإعلامي الجديد كل جانب من جوانب حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية لذلك من المهم أكثر من أي وقت مضى أن نكون قادرين على فهم وشرح تعقيد عالمنا الرقمي الذي احتوى علاقة ثلاثية بين التقنيات والوسائط والمجتمع، هذه الأخيرة أنتجت العديد من المفاهيم ذات الصلة بمختلف المجالات البحثية الاجتماعية والنفسية وحتى الفلسفية، إذ احتلت فيها المرئية المفهوم المركزي وأصبحت ذات أهمية متزايدة في تصور الفضاء العام في ظل الوسائط الاجتماعية الرقمية ، ليس فقط نظراً للطبيعة المرئية المتزايدة لهذه الوسائط التي تحملها الصور والفيديوهات، ولكن أيضاً نظراً للطرق المختلفة التي يتم من خلالها تمكين مختلف الأفراد والجماعات والمؤسسات من المرئية الرقمية التي تمنحهم حرية تكوين وإظهار آرائهم من خلال التعبير والنشر (Dahlberg, 2018) والمشاركة في التفاعلات الرقمية، فمحاولة عرض الذات وبحثها عن المرئية تحمل في طياتها العديد من دلالات الإفصاح والانفتاح والتعبير والإشهار والاعتراف... الخ ، وذلك عبر وسيط تقني يمثل للأفراد فضاء لظهورهم ومرئيتهم ، كما يمكن أن يكون الهدف منها شد الانتباه ونشر المعلومات المضللة بهدف الازدراء أو الازلال.

فمواقع التواصل الاجتماعي تمنح القدرة على تحقيق أدوار معينة في فضاء معين، هذا الأخير الذي يعتبره هنري لوفيفري Henri Lefebvre "البؤرة التي تتطور داخلها الاستراتيجيات الإنسانية والاجتماعية باختلاف مصالح الأفراد فيها – باعتبار أن الانسان علائقي-"، وهذا ما ينطبق حسب إلزا غودار Elza Godart على مواقع التواصل الاجتماعي "التي تشكل فضاء كونيا افتراضيا يشتغل باعتباره سنداً لفضاء اجتماعي في تحول دائم...، تحول مركزي آخر سيغير جذريا من

علاقتنا مع العالم ومع أنفسنا: علاقتنا باللغة" (غودار، 2019). هذا ما يصب في صميم الموضوع الذي يبحث على مستويين الأول فيما يتعلق بما أحدثته الوسائط الجديدة في تشابك بين ما هو عام وما هو خاص بالنسبة للأنترنيتين بحيث تزايدت أشكال وطرق الكشف في زمن الرقمي، حيث يشير غرانجون Granjon.F إلى أن الشبكات الاجتماعية تحفزنا بأشكال وطرق مباشرة لعرض وتمثيل ذواتنا رقمياً عن طريق كشف معلوماتنا الشخصية طواعية أو إكراهاً، فيطرح عرض الذوات على الشبكات الاجتماعية الرقمية انقساماً داخل الذوات المتصلة: فهو يظهر نفسه ويلاحظ نفسه وهو يظهر نفسه، بحيث يخلق بين الأنا والذات التي يعتبرها جزء من ممارسات الإنتاج الذاتي أي أننا نعيد بناء وإنتاج هوية على الويب وهو المستوى الثاني كطريقة أصلية لإدخال حقيقة الإشهار وهو أساس المرئية في البناء الانعكاسي للذات *la construction réflexive de soi*.

وقد ركز العديد من الباحثين من بينهم الصادق الحمامي والأستاذ نصر الدين لعياضي على المتغير الرئيسي للدراسة المتمثل في عملية "التمشهد وعرض الذات" التي نسعى من خلالها إلى كسب مرئية اجتماعية افتراضية، وما ينجر عنها من انتهاك خصوصية الفضاء الخاص للذوات المتفاعلة، لذا سنسعى من خلال هذه المداخلة الإجابة على هذا الطرح من خلال الإشكالية التالية: هل يشكل عرض الذات على مواقع التواصل الاجتماعي نوعاً من المرئية الاجتماعية؟ وهل تحقق التفاعلات الرقمية إنتاج وإعادة إنتاج هوياتي للذوات؟

I. حدود العام والخاص في مواقع التواصل الاجتماعي :

يؤكد يورغان هابرماس على أنّ الفضاء الخاص هو فضاء مغلق، لكونه مجال الفعل الحميمي والاتصال الفردي الذي يتأسس على مبدأ تحديد الهوية الفردية. بينما الفضاء العام فضاء مفتوح، لكونه مجال التعايش والفعل المشترك، لذلك يعتبر الحديث عن الحدود الفاصلة بينهم ليست عازلة، باعتبار أن الأنترنت عززت عملية الانفتاح، أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية ولاستعراض الذات -بما تحمله من خصوصيات- في المجال العام (الحمامي، 2011)، فلقد شغلت هذه الثنائية علماء الاتصال، الاجتماع والسياسة بالتالي قد يتم تجاهل الفرق بين المواقف العامة والخاصة أو اعتباره غير ذي صلة "على هذا النحو" ، بقدر ما تم اعتبار خطاب وسلوك الفاعلين في الخصوصية أو الحميمية على أنّه يكشف عن الحقيقة العميقة (وغالبًا الطبيعة الاستراتيجية) لأفعال وأقوال الافراد في المواقف العامة، من هنا يأتي سعينا إلى التحليل البراغماتي لمواقف الاشهار وبالتالي كسر حاجز الخصوصية للظهور مما ينتج تقاطع بين المواقف الخاصة والعامة، فيما يتعلق بمسألة معرفة الظروف التي تتعامل معها شركاء التفاعل مع الوجود الحقيقي أو المتخيل للجُمهور كبعد ذي صلة لنشاطهم ، كان إرفينغ جوفمان Erving Goffman بالفعل من أوائل الذين تجنبوا الإجابة عن طريق التذرع بسلطة المحتوى الدلالي الذي من شأنه تحديد المواقف الإشهارية -العامة- في حد ذاتها (Cardon, 2005).

وباعتبار أنّ سلوك كل متفاعل في الحقيقة خاضع "لنظرة الآخر" وضرورة التعامل مع وجود الآخرين للتنسيق من أجل فعل مشترك، فهو بالفعل الطابع "العام" للحياة الاجتماعية، إذا كنا نعني بذلك حقيقة أن الأفراد الذين يعيشون في

المجتمع يتم دفعهم بانتظام إلى "المرور" بحالات التواجد المشترك مع الآخرين، وهو ما وجّه إرفينغ جوفمان في دراسة أشكال -ضعف الأنا- على وجه الخصوص، فهي تلك التي تتجلى من خلال العملية المتمثلة في تحويل حالة الخاصة في الخفاء إلى الطقوس التمشهد "تحت سيطرة الآخرين" والتي من الممكن أن تلوث الثقة وحب الحياة الخاصة، كما يمكن أن يؤدي التعبير عن المشاعر وتعبئة العلاقات الخاصة إلى إضعاف العدالة والعقلانية (Gal, Spring 2002). لذلك نصل مع مواقع التواصل الاجتماعي إلى الحديث عن تكامل أو تقاطع بين المجالين عوض انفصالهم كما ورد لدى الباحث نصر الدين لعياضي عن دومنيك ماهر Dominique Mehl الذي اقترح نقل النقاش عن القضايا الخاصة إلى مجال مرئي عام (العياضي، 2017)، حيث أتاحت هذه الأفضية الافتراضية بروز الأفراد المغمورين وعوالمهم الذاتية وفق أشكال مختلفة يتفاعلون فيها بأنواع مستحدثة من التواصل والتفاعل عبر الصورة والكتابة -كتابة بلغة مستحدثة أو هجينة- مما أدى إلى إعادة تشكيل المعايير الثقافية لمختلف القضايا التي تستوجب الأشهرار أو الاخفاء (الحمامي، 2011، ص21)، وبالتالي، يمكن تصور التعارض بين المواقف "العامة" وغير العامة (أو "العامة" بالمعنى الأدنى) بأسلوب ديناميكي ومستمر على حد سواء، على سبيل المثال تبدو بعض المواقف العامة أقل "علنية" من غيرها، أو تصبح أقل أو أكثر علنية عندما تتكشف (خاصة بسبب طبيعة الطرف الثالث الذي يتم تعبئته وربما "المتجسد" في هذه المواقف). هذه ما دفعنا إلى إجراء الفحص لهذه المواقع التي تعمل وفق ثنائية العام والخاص أو الأقل عمومية تعتمد على التفعيل المسبق من طرف المستخدمين وما هي الصور والمواقف التي اختارها أفراد العينة لتكون مرئية في الفضاء العام وما تم اخفاؤه والاحتفاظ بخصوصيتها.

II- التفاعلات الرقمية والبناء الهوياتي للذوات المتفاعلة :

من الواضح أن تطوير الخدمات عبر الإنترنت وظهور الويب 2.0 قد عزز الإيمان بمستقبل تشاركي للثقافة والسياسة والجانب الاجتماعي عبر التفاعل الافتراضي، والذي يعتبر في غاية الأهمية لارتباطه بالمنظومة السوسيوثقافية التي شكلت الفضاء الافتراضي. إذ يمنح التفاعل الافتراضي للأفراد تكوين هوية افتراضية بصور رمزية إما أن تكون كما أوضحه انسيلم ستروس Strauss Anselm مرآة miroir أو قناع masque للهوية الحقيقية. ومن المفارقات أن هذه الهوية التصريحية على مواقع التواصل الاجتماعي بمثابة شاشة "paravent" (Cardon, 2008)، لكي يجد المرء نفسه انتقل لعالم افتراضي نظرًا لأن التنقل بين العالمين الواقعي وعالم الإنترنت هو مسألة حرية الفرد في إعلان سماته أم لا، أي من إظهار أو إخفاء، أي المرئية حسب دومينيك كاردون، فقد حول الإنترنت مسألة الهوية الافتراضية نحو قضية عرض الذات أو فضاء لإثبات الذات (حسن، 2008) على الإنترنت، خاصة أن الأفراد حسب فيليب بروتون Philip Breton كائنات تتجه نحو الاجتماعي، وهم يتواجدون في إطار التبادل في مجتمع أصبح شفافا بفضل المنظومة الاتصالية الاجتماعية.

إنّ عملية التفاعل البينذاتي في المنظومة الاتصالية والتي نقصد بها مواقع التواصل الاجتماعي تركز على ثلاثة أقطاب أساسية تؤسس لتشكيل هوية الذات المعاصرة، وتشرحها هانيش نتالي Heinrich Nathalie في "التعيين (من قبل الآخرين) ، التقديم (للآخرين) ، الإدراك الذاتي (للذات في نفسه)، وذلك من خلال التمييز بين هذه "الأقطاب" الثلاث للهوية، يمكننا فهم تقلبات الهوية التي يمكن

للذوات من خلالها التلاعب في ما تعينه من قبل الآخرين ومن خلال تقديم نفسها، ولكن يمكن أيضاً رؤية إدراكها الذاتي مما قد يؤدي بهذه الذوات إلى تعديل ما تعرضه للآخرين. (Nathalie, 2018) "

إذن الهوية هي "التي تحفظ سياق الشخصية، ودونها يتحول الانسان إلى كائن تافه، فارغ، غافل وتابع ومقلد... فإذا توافقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه كان الأمن والراحة والإحساس بالانتماء، وإذا تصادمت الهوية كانت الأزمة والاعترا ب" (باريك، 2008). هذا الاعترا ب الذي يمكن أن يكون سببا للانغماس في المجتمعات الافتراضية أو نتيجة له، عبر التفاعل في فضاء رمزي موازي للواقعي الذي تمكن من خلق "روابط قوية منسوجة ومحافظ عليها بين الأفراد على مواقع الشبكات الاجتماعية تشكل موارد في إدارة رأس المال الاجتماعي الخاص بهم، والمطلوب لإنتاج رأس مال رمزي" (Claire Balleys, 2015). بذلك تصبح بيئة التفاعلات الاجتماعية الافتراضية تلعب دورا مؤثرا حتى لا نقول أصبحت تشكل وتعيد تشكيل البنى المعرفية، القيمية، الثقافية للأفراد والمجتمعات.

لنصل إلى القول إن بناء الهوية الرقمية يرتكز من الجانب السوسيولوجي على تأثير الآخر في الذات من جهة، انتماء الذات لزمرة افتراضية تملي عليها مختلف الاتجاهات الفكرية والاجتماعية، أما من الجانب التقني فهي مجموع ما أقوله أنا – ملفات تعريفية خاصة بالذات-، وما أفكر به – ما أنشره أو أشاركه وأتفاعل معه- وكيف أتصرف وأتعامل مع مسارات الملاحاة الرقمية الخاص بي. ينزع الفرد، في فضاء الانترنت إلى التعدد الهوياتي لكي "يقيم في" الصور التي تصنعها رغباته، وهنا تبدأ علامات التبعية في سلوكيات الفرد في علاقته بهذا الفضاء (رابح، 2013) مما يحدث نوعا من الانكفاء الشبكي الذي يحدث عادة من خلال تحليل الذات في المجتمع الافتراضي، فدافعها ليس فقط التفاعل وإنما البحث عن اعتراف

الأخرين بها، يحدث في هذه الحالة حسب الصادق رابع نوعا من المزايدات العلنية لهويات ما بعد الحداثة.

III- المرئية والبروز عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

تشترك هذه الثلاثية في العديد من النقاط الموصلة في تحقيقها مع ظهور الشبكات الاجتماعية والخصائص التي تمنحها للمستخدمين، فهي بمثابة أرضية مرنة أساسية تحقق للذوات القدر الكافي من الاطلاع والتفاعل والظهور كفاعلين في الفضاء العام المشترك، ففي كل مرة تُحدَّث الشبكات وتحديدًا الفيسبوك تحديثًا عميقًا في خصائصه؛ تصاحبها تحولات عميقة على مستوى عملية التواصل والتفاعل والظهور العام. فلقد أثبت أنه يساهم في التعرف على حالة أو قضية اجتماعية، بنفس القدر الذي يبقها في الخفاء أو اللامرئية، والذي وفق فيرول Viroirol يتم تصنيفها حسب الدلالة أو عدمها "sinignifiant" أو "insignifiant"، ذلك لأن الشبكات لديها القدرة على توزيع (نشر) "منتجات رمزية" (Viroirol, 2005) على نطاق واسع، ومرجعيات لتفسير المجتمع. ويؤكد برولكس Proulx أن فضاء التواصل الاجتماعي يوفر مجموعة من الأجهزة السردية (محتوى، أنماط، خبرات ومبادئ) بمثابة مرساة رمزية تسمح للأفراد بسرد كيف يرون أنفسهم ممثلين وكمشاركين في "بيننا"، وهذا ما يمكن أن يتخذ شكل مجتمع مُتخيّل (Serge, 2005). حيث أن الحضور الاجتماعي في فضاء الجماعات المُتخيّلة -الرقمية- يغذي الدافع لدى المرء إلى الانفتاح على تقاسم المعرفة مع الآخرين، هذا لعدم استشعاره بوجود عوائق تحول دون تواصله معهم، فالعديد من الدراسات لعلماء الاجتماع "تؤكد أنّ الفرد لا يميل إلى مشاركة الذخيرة المعرفية مالم يحس أنه جزء لا يتجزأ من نسيج الجماعة التي ينتهي إليها، وأن هناك قيمة معنوية، سوف تتحقق نتيجة مشاركته بعناصر من هذه الذخيرة" (الرزو، 2016). من خلال هذه

الفكرة نستطيع القول إن هناك فئات أقل عرضة للظهور والتعريف بأنفسهم في هذا الخيال الجماعي بالتالي توجد ذخيرتهم الرمزية خارج المرجعيات المشتركة للكل.

وضع بريغنتي Brighenti المرئية في تصنيف أكثر دقة من أجل فهم هذه الظاهرة بشكل أعمق، فقد صنفها إلى منطقتين للعمليات:

أ- الفعل الحسي للرؤية وانتقاله العصبي والذي يمكن من خلاله أن نحقق ما يعرف بـ "المعرفة" التي تؤدي إلى الاعتراف أو الازدراء.

ب- الارتباطات الرمزية التي تصاحب العناصر المرئية عند هونيث، هنا يمكن التمييز بين اللحظة التي نربط فيها عقليا الشخص المدرك بما يمثله (لحظة المعرفة)، من اللحظة التي نختار فيها اظهار الاعتراف بالتالي تأكيد لمرئيته وإثبات لظهوره أو الازدراء لذلك الشخص.

حسب Voiron لا يجب الخلط بين الاعتراف والمرئية، في حين أنه لا يوجد بالتأكيد اعتراف بدون مرئية متبادلة، فالمرئية تشير أكثر إلى علاقة عملية مع العالم مع افتراض الاهتمام بالآخرين. لذلك في هذا الرابط بين العلاقة العملية بالعالم والعلاقة الأعمق التي تشرك الذات في حياته اليومية، ننقل من الظهور إلى الاعتراف، فالمرئية هي شرط للاعتراف، وعندما يكون هناك مرئية وتبادل لعلامات الاعتراف تكتسب هذه المرئية بعدا أخلاقيا وجذبا ضروريا في إنتاج المجتمع وتأسيس الفعل في الفضاء العام، بحيث تظهر معايير جديدة للمرئية في مفهوم متضارب لما يستحق المشاهدة، وتحديد ما هو في ترتيب المرئي واللامرئي، بالتالي عند فتح احتمالات من حيث الرؤية والاعتراف فإن هذه الأشكال من المرئية تنتج أيضا قيودا جديدة في طرق الاعتراف الناتجة عن استخدام الأجهزة المتصلة

واعتبر الدارسون للأفضية الافتراضية أنها بمثابة فضاء للظهور، الذي يحقق للأفراد حضوراً تواصلياً من خلال التفاعل الذي تثيره عمليات التواصل الرقمي، ما ينشأ عنه أحاسيس ومشاعر ترسخ قناعة بوجود قواسم مشتركة في فضاء مشترك، وفرص أكيدة لتحقيق منافع ومكتسبات. فيتولد عن ذلك وسط حميمي يمهّد لإحداث محيط مدرك للأفراد الذي يمنحهم مسارات إثبات حضورهم الوجودي داخل نطاق المجموعة الافتراضية، بذلك يتكشف نشاطهم التواصلي مع بقية أفراد الجماعة التي تحقق لهم الاحساس بالوجود كذات مرئية يشكل حضورها وصوتها فارق في المجموعة، بذلك يصبح حضورهم التواصلي نوعاً من الالتزام المريح بممارسة أنشطة التواصل والحضور الآتي مع الآخرين

يسهم التواصل في البيئة الافتراضية في تشكيل الخصائص الشخصية للأفراد وترسيخ عملية التمرّكز حول الذات من جهة والانفتاح على الآخر، المهم وجوده في تأكد اعتراف ومرئية الذات المشاركة في التواصل داخل هذا الفضاء المشترك، حيث ستطفو من خلال تواصلهم نقاط التوافق، تطابق الآراء مع الآخر و/أو تناقضها، فيؤدي هذا التفاعل إلى إنضاج مستويات الحضور التواصلي الذي يُنتج من خلال الأفراد رأس مال معرفي يستغل في فضائهم العام المشترك، فقد مكنت شبكات التواصل من إنشاء ذات تتوفق والذات الواقعية أو أحسن منها حضوراً، تمتلك عضوية في الشبكة تخول لها تلاقي الأفكار مع الآخر من خلال استخدام الأدوات الطرفية للحاسب وملحقاته، والتي تمارس دور إعادة تشكيل الأنطولوجيا الرقمية لحضور الذات في هذا الفضاء الذي تتفاعل فيه وتعبّر عن هويتها، أفكارها واحتياجاتها، حتى رغباتها والنقائص التي تشوب حياتها الكريمة، لذلك يؤكد المؤلفون على أن المشاركة المدنية والإنتاج الذاتي يستمران في إطعام بعضهما البعض بقدر ما يتم تقديم إنتاج المعلومات عبر الإنترنت كموجه للمشاركة

والتجميع والمناقشة المدنية ، والتي تعد أيضاً في صميم مبدأ مطالب الاعتراف والتأكيدات الشخصية والتجارب الذاتية .

IV- البناء المنهجي:

تندرج هذه الدراسة ضمن سياق الدراسات الكيفية التي تعتمد على التحليل والتفسير للمعاني التي يفسر بها الفرد العالم الذي يحيط به من خلال سلوكياته الاتصالية (لوصيف، 2016)، انطلاقاً من تعبير المبحوث عما يفعله، إلى التعبير عما يفكر فيه، إلى فعل إمبريقي يتوافق مع ما يفعله وما يفكر فيه، مع ضرورة مراعاة السياق الذي يحدث فيه هذا الفعل والذي يمثل في دراستنا الشبكات الاجتماعية تحديداً الفايسبوك. اعتمدت الدراسة على منهج الاثنوغرافية الافتراضية التي يقصد بها "دراسة الجماعات وممارساتها على الشبكة العالمية: مواقع الدردشة، المنتديات، مواقع الأنترنت، المدونات، مواقع الشبكات الاجتماعية" (Berry, 2012/4) ، من خلالها تمنح رؤية تفصيلية ومتعمقة للممارسات الاجتماعية والمعاني المنسوبة إليها، باعتماد مجموعة من الخطوات تمكن من القدرة على وصف ما يفعله مستخدمو الأنترنت بالفعل في مواقف محددة، فهي تساهم في تحديد الطبيعة الاجتماعية البارزة للتفاعلات التي تتكشف في العوالم الرقمية ودراسة التكوينات الثقافية، الاجتماعية التي تنشأ عنها (Millette, Florence , & David , 2020) .

طبّق هذا المنهج للوقوف على مختلف صور التفاعل البينذاتي الرقمي بين الأفراد التي تهدف من خلالها الذوات إلى إظهار نفسها في الفضاء المرئي الافتراضي، ومختلف آليات التّمشهد التي تتبعها لكسب شرعية هذه المرونة باستخدام مختلف آليات التفاعل المتاحة في الفضاء الرقمي سواء نص أو صورة

أو مزج بينهما من خلال معايشة لجملة هذه التفاعلات الرقمية من خلال الانخراط في مختلف الصفحات.

كما تمّ الاستعانة بشبكة ملاحظة بالمشاركة باعتبارها أهم أداة في هذا المنهج، وبما أن ميدان الدراسة هو الفضاء الافتراضي اعتمدنا على الملاحظة بالمشاركة على الخط التي تتطلب عضوية الباحث في المجموعات الافتراضية المراد دراستها ويشارك فيها متفاعلا دون تغيير أو اصطناع ميدان الدراسة؛ ووفقا لهذا اتبعنا مجموعة من الممارسات كالتالي: المتابعة الدائمة، المشاركة، التفاعل إضافة إلى الأرشفة والتي نقصد بها اعداد قاعدة بيانات مصغرة لمستخدمي الفضاءات الافتراضية.

ارتكزت شبكة الملاحظة بالمشاركة على ثلاث مستويات أساسية للمتفاعلين: الأول الملفات التعريفية الخاصة بكل مستخدم (الصورة التي يستخدمها بمختلف الدلالات التي تحملها سواء كانت حقيقية أو مزيفة، اسم الحساب، فتح السيرة الذاتية)، فيما خصصنا المستوى الثاني إلى التفاعل الافتراضي بمختلف آلياته (اعجاب، تعليق، مشاركة أو الجمع بين خاصيتين أو ثلاث)، أما المستوى الثالث فقد اهتم بأسباب وتبعيات هذا التفاعل على الفرد.

V النتائج المتوصل إليها:

للوصول إلى موقع فايسبوك ، كل ما عليك فعله هو إنشاء حساب بعنوان بريد إلكتروني، باسمك الحقيقي أو باسم مستعار، فالمعلومات الشخصية الوحيدة المطلوبة هي التالية: الاسم الأول، والاسم الأخير، والجنس وتاريخ الميلاد، هذه المؤشرات في العالم الرقمي هي التي تشكل الهوية الرقمية للمستخدمين والتي عبر عنها كاردون cardon وكأنها سوق كبير "Vaste Bazar" ، الذي تظهر فيه

المؤشرات المعبرة عن هوية مستخدم ما، يمكن التجول فيه وتغيير هذه المؤشرات في كل مرة، هذا ما يصعب عملية رصد ظهور المستخدمين في فضاء التفاعل، حيث وجدنا أنها تركزت بين الظهور بالهوية الحقيقية أي اسم حقيقي، صورة حقيقية، إخفاء الهوية الحقيقية تماماً وخلق هوية محاكية لها، أي اسم مستعار وصورة تعبيرية، أو اختيار أن تكون إحدى المؤشرات حقيقية والأخرى تعبيرية. وهناك من يلجأ إلى هويتان أحدهما بالمؤشرات الحقيقية، والأخرى بمؤشرات مستعارة،

المستوى الأول: يتعلق بالملفات التعريفية المستخدمين

أ. هوية حقيقة: اختار أفراد العينة خلال تفاعلهم مع المنشورات في الصفحات المعنية بالدراسة على الفيسبوك الظهور بأسمائهم الحقيقية وصورتهم الحقيقية لعدة أسباب منها المهنية والتي حازت على نصف عدد المستجوبين بحث أن حساب الفيسبوك الذي يتعاملون به مع الصفحات هو نفسه الذي يجمعهم مع زملاء العمل وينظمون به أعمالهم في أغلب الأوقات"، في حين أن عامل الثقة لا يقتصر على التعامل فقط بل حتي ثقة في النفس حيث يفترض أصحاب هذا الرأي أن "من يقومون بإنشاء حسابات بأسماء مستعارة فلا يملكون ثقة في أنفسهم، أو أنهم يقومون بأمور فيها ريب"، أما الصنف الآخر ممن يظهرون بأسمائهم الحقيقية فهم يربطونها بمصداقيتهم في التفاعل، عدم الاستهزاء بهذا الأمر.

ب. هوية مستعارة: تعرف هذه الفئة كما سماها الدكتور نديم منصوري "الهوية الخفية"، فهي تساعد على التعبير على أنفسهم وآرائهم دون تقيد بالقواعد التي يفرضها المجتمع الواقعي ويعتبرون أن الاسم الحقيقي والصورة

الحقيقية"، قد ربط استاذ علم الاجتماع الدكتور حسين محادين قال أن الأسماء الوهمية التي يستخدمها البعض للتواصل عبر المواقع الاجتماعية أو التعليق على الموضوعات في المواقع الإلكترونية تعبر عن عدم وجود نمط من التنشئة لدى المستخدمين يمنحهم القدرة والثقة بأن يعلنوا عن شخصياتهم كما هي أي أن ال (أنا) لدينا تواجه أزمة مع ال (نحن) وبالتالي نجد أن هناك ازدواجيات بالسلوك، بالتالي هو يعيشون قلقا الكترونيا، أو الخوف من وجود مراقبة سواء من المحيط القريب أو البعيد. حيث إن إحساس الذات بأنها مراقبة بصفة متواصلة يجعلها تلقائياً تحور آراءها ومواقفها واتجاهاتها وفقا لرأي الأغلبية المنخرطة في نفس المجتمع الافتراضي الذي تنتهي إليه بغية الاندماج التام مع أعضاءه أو اللجوء إلى هويات مستعارة وهذا ما أطلق عليه "البانوبتكون الافتراضي"¹، الذي يفرض مراقبة جماعية كجزء من الممارسة الافتراضية التي باتت تنطبق عليها صفة التلقائية أحيانا، تضع في ذهن المبحر في وسائل التواصل الاجتماعي أنه تحت مجهر ال"هو" أو ال"هم" الدائم، الأمر الذي يؤثر في طبيعة نشاطاتهم التكنولوجية كنزوات منخرطة في الفضاء العام الموازي أو البديل، وهو ما من شأنه أن يؤثر على الهوية الافتراضية للفرد النشط إلكترونيا.

منه نستنتج أن اختيار نمط معين من الهويات خاضع للمعايير السوسيوثقافية المرتبطة بخصوصيات كل مجتمع وبالتالي اللجوء إلى الهوية المستعارة لضمان أكبر قدر من الحرية في ابداء الرأي والتعبير عن الأفكار وهذا ما أطلقت عليه الباحثة شيري تيركلي Cherry Turkle بلعبة الهوية Identity Play.

ج. السيرة الذاتية والمعلومات الشخصية:

من الواضح أيضًا أن الأفراد يميلون بشكل غير متساوٍ إلى اتخاذ الاحتياطات أو معرفة كيفية اتخاذها، لمعالجة عدم المساواة بشكل عام في المهارات الرقمية، ومن جانب آخر، يمكن أن يؤدي الإفصاح والنشر العام للسيرة الذاتية للمستخدم الذي تسمح به الإنترنت أيضًا إلى إلحاق الضرر بهم، حيث عبر عن قلقهم ازاء هذا الملف بحكم أنهم لم يعودوا قادرين على التحكم في هويتهم الرقمية عندما يتم بيع بياناتهم السرية دون موافقتهم، وهذا النوع يرفض مبدأ سرد الذات بكل جوانبها على الفضاء الافتراضي ويميلون إلى الظهور فيه بهوية مستعارة، في حين لاحظنا أن البعض الآخر يعتبر الفضاء الافتراضي فرصة لكسب مرئيته الاجتماعية التي لم يحظى بها في الواقع، فهو يسعى إلى تغيير دائم لمختلف المعلومات الذاتية في حسابه كلما استجد جديد فيها.

المستوى الثاني: آليات التفاعل

انقسمت آليات وصور الظهور من خلال التفاعل في الفضاء الافتراضي إلى ثلاث صور: الأفراد الذين ينشرون على حساباتهم الشخصية بدرجة كبيرة ثم يقومون بمشاركة هذه المنشورات على الصفحات والمجموعات، تتميز هذه الفئة بعدد كبير من الأصدقاء على الحساب الشخصي الذين يتفاعلون بشكل ملفت للانتباه، وحسب الملاحظة بالمشاركة يختار أصحاب هذه الفئة التفاعل بمختلف الآليات بالنشر والتعليق والمشاركة في أغلب الحالات وهذا ما يبين الرغبة في الظهور والتأكيد على ذواتها في الفضاء المرئي للآخرين وهكذا يتحول الفايسبوك قد انتقل إلى دور "نظام اعلان وترويج لمحتوى منشور على الحساب الشخصي" (Fabien Granjon, 2014)، فهو مساحة التعبير المستقل (الحساب الشخصي) الأهم بالنسبة لهؤلاء الثلاثة، في حين أنهم يستخدمون الصفحة إلى حد كبير لنشر

ومشاركة روابط الأخبار ولكن أيضاً لمناقشة تجارب حياتهم الشخصية وأذواقهم الثقافية

يفسر هذا النشر على الحساب الشخصي وعلى الصفحة إلى الرغبة في الظهور داخل الفضاء الافتراضي الفايسبوكي، فالنشر يعد أحد أبعاد الظهور الخطابى الأكثر دلالة، فهو يتيح للدوات الظهور في بعدها الكتابي والتدويني وفتح المجال للتفاعل معها والتعليق عليها من قبل أعضاء الصفحة، ويعد الظهور الخطابى ذو أهمية معتبرة لا تقل دلالة عن الظهور البصري إذ يتجلى من خلاله بروز الدوات عن طريق الأنساق الخطابية وذلك طبعاً بالتركيز على جانب جذب الانتباه.

النشر مع الآخرين: تتميز هذه الفئة حسب ما لاحظنا بأقل درجة في الرغبة في الظهور على الفضاء الافتراضي، كما أن هذه الفئة تحاول أن تحافظ على هويتها في حسابها الشخصي الضيق بحيث أن عدد الأصدقاء والتفاعل أقل من النوع الأول على الرغم من الظهور والتفاعل في صفحات الأخرى بآراء ومواقف بدت لنا غير تلك المنشورة والمتفاعل بها على الحساب الشخصي. أما النوع الثالث وهو المشاهدة دون نشر: يمكن أن نطلق على هذه الفئة مصطلح "المشاهد النشط"، كشفت الملاحظة بالمشاركة أن هذه الفئة لا ترغب في الاختلاط أو التأثير بالمختلف الهويات والدوات الموجودة في الفضاء الافتراضي، وتكتفي بالمشاهدة والتفاعل القليل حيث ينفصل النشر والمشاركة والتفاعل مع منطق الرغبة في الظهور

المستوى الثالث: الظهور والمرئية

مما سبق نجد أن هذا التفاعل بأحد الآليات السابق تعتبره الدراسة مؤشر ذو دلالة اجتماعية، فالفايسبوك هو عبارة عن فضاء يتشارك الحضور فيه مجموعة من الأفراد الذين يقومون بعملية استعراض لذواتهم أمام الآخرين وصيانة حضورهم الرمزي بواسطة آليات التفاعل التي يتحها الفاييسبوك، بالتالي فإن فضاء الفاييسبوك هو فضاء ظهور بالدرجة الأولى، تجدر بنا الإشارة إلى أن الصفحة كفضاء افتراضي ه عبارة عن بنية اجتماعية- مجالية و رمزية تسودها علاقات طقوسية يومية بين الفاعلين فيه، حيث تتداخل في هذا الفضاء كل أشكال التفاعلات الافتراضية/ الرمزية الخطابية التي تعد ضرورية لتمتين العلاقات الاجتماعية وبروز الفاعلين الاجتماعيين وحصولهم على المروية الشرعية.

هذا ما أكدته دراسة كل من Bostrom Nick & Anders Sandberg حيث توصلوا إلى أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي كذوات متكلمة ومنتجة للمعنى تتفاعل دائريا في إطار شبكة تضامنية من العلاقات التواصلية الافتراضية التي تتطلب من الأفراد الالتزام والاستمرارية في هذا التفاعل مع الآخرين كمحاولة منهم لإحراز القبول الاجتماعي والتوافق مع إستشرطات المحيط الاجتماعي الافتراضي الذي ينتسبون إليه.

أي "إنه مكان إزاحة الستار والمعرض وتدوين العمل للعالم"، توضح رغبة في الظهور والمروية لأن هذه الأخيرة متداخلة مع علاقات القوة التي تنسج المجال الاجتماعي "مالا يرى لا يتم تحديد موضوعه ككائن في مجال الفعل غير المرئي هو ما هو موجود هنا دون أن يكون شيئا ما يظهر هو ما يشكل حقيقة العالم بالذات، وهذا الأخير يضمه وجود الآخرين ، القادرون علانية على رؤية ما

نراه وسماع ما نقوله، لذلك، تسير عملية ظهور وتشكيل الدولة جنباً إلى جنب مع وجود عالم مشترك ، يتكون من علاقات بين الفاعلين والأفعال والكلمات المرتبطة ببعضها البعض. فتوجه الأفراد لمواقع التواصل الاجتماعي ضناً منهم حسب اجاباتهم أنها لا تشكل أي عائق وفيها الكثير من التسهيل لتحقيق الهدف من التواصل الافتراضي، باعتبار أن وسائل الإعلام التقليدية مارست عليهم بطريقة قصدية فعل الاخفاء والاقصاء الممنهج من المشهد العام وهذا ما أكدته Granjon أن الذات خلال تواجدها في نطاق المرئية على الخط، تهدف إلى تحقيق ذاتها، المرتبطة بحاجة خارجية للاعتراف، فاستعمال التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال يسمح بالتعبير عن الخصوصية والاستقلالية الفردية، عبر تمكين الأفراد من وضع قضاياهم وهوياتهم الشخصية في نطاق المرئية، خاصة تلك المهمشة من قبل المؤسسات السياسية والإعلامية السائدة (Granjon, 2017) .

وبالتالي فإن الدراسة تعتبره "صراعاً من أجل الظهور" هذا البعد المحدد من العمل الذي ، بدءاً من تجربة الإهلاك الرمزي الذي خضع إليه الأفراد، ينشر العمليات العملية والتقنية والتواصلية لإظهار نفسه الفضاء العمومي واكتساب الاعتراف بالممارسات أو التوجهات السياسية، لذلك ، لا ينبغي أن يُنظر إلى النضال الافتراضي من أجل أن يُسمع أو يُنظر إليه على أنه جانب هامشي، بل على العكس من ذلك، لذلك من الضروري حسب Olivier Voirol أن نأخذ في الاعتبار حقيقة أن البنية التحتية للاتصالات والعلاقات الاجتماعية ، التي تم وضعها خلال القرن العشرين ، جعلت غزو المرئية عبر الوسيط شرطاً للنضال من أجل المرئية على مواضيع وممارسات وأشكال الحياة، لكن الأهمية المتزايدة للنضال من أجل الظهور في ديناميكيات العمل المشترك يجب أن تعود أيضاً إلى الميول التاريخية لتجريد العلاقات بين المجموعات الاجتماعية وبين الطبقات الاجتماعية وما

يصاحب ذلك من نمو للحجب الاجتماعي. هو خلق فضاء ظهور مشترك موحد يناضل من أجل قضية واحدة ومحاولة إخفاء أو تجاهل العداوات الاجتماعية من خلال تجريد العلاقات الاجتماعية ونشر رؤية متناغمة للمجتمع، وهذا ما لاحظناه في العناصر السابقة ومحاولة توعية من الوقوع في فخ التفرقة لامتناس.

ولا يتحقق فضاء الظهور بالنسبة للأفراد إلا من خلال تفاعلهم على مواقع التواصل الاجتماعي، التي تضمن لهم شروط الظهور وتسمح بجذب الانتباه إليهم ولآرائهم حول مختلف الموضوعات، باعتبار أن التعمق في التحليل يبين أنها لا تظهر الأفراد فقط كما يدعى أن يكونوا وماهي مطالبهم بل تتعمق داخل معنى "الفرد"، عبر تفاعل معقد بين الصورة والصوت.

بالوصول إلى نقطة الفضاء الافتراضي نقع في أشكال المستخدم المتصل والغير متصل توصلنا إلى وجود فروق دقيقة فيما يتعلق بالصراع من أجل كسب المرونة الاجتماعية التي تنتهي بتعزيز اللامرونة أو الاختفاء الاجتماعي بدلا من معالجته، حيث أن الاختفاء من هذا الفضاء هو تجربة معاناة لأفراد فئة اجتماعية يحرمهم من قدرتهم على المشاركة، علاوة على ذلك يسبب تضائل في امكانياتهم في تطوير العلاقة بين الذات والآخر.

انطلاقا من مسار المنشورات وإعادة نشرها على البروفيلات الخاصة لبعض المتفاعلين والتعليقات على الصفحات نجد أن الذوات يحاولون نقل كل ما يتعلق بحياتهم وأفكارهم إلى أماكن الشهود أو الفضاء الذي يمكن أن يجمع عدد كبير من الناس وهو "الفيس بوك" عبر الصفحات الاجتماعية؛ ومتى اجتمع الأفراد عبر الحوار والفعل تحقق فضاء الظهور، كما أنها شكلت وسيلة للتعبئة لبعض الافراد للنضال من أجل الظهور، ببساطة من خلال التعبير عن الذات

باللغة و اللهجة التي يريدتها في هذا الفضاء العمومي الافتراضي، حيث تشكل الكلمات المفتاحية، الهاشتاغ، الموضوع الذي يتناوله المنشور، أسلوب الكتابة، استراتيجيات النشر وفتح الفضاء التعليق بالنسبة للفيسبوك عوامل يجب أخذها بعين الاعتبار من أجل تحسين أو زيادة فرص التفاعل ومرئية المنشور في حد ذاته.

الإحالات والمراجع:

- ¹ يعني الرؤية الشاملة وهو اسم اطلق على تصميم لأحد السجون بشكل دائري يتوسطها برج مراقبة مضاء لا يسمح للسجناء بمعرفة من في برج المراقبة في حين من يكون في برج المراقبة يرى جميع السجناء فحسب ميشال فوكو في كتابه "المراقبة و المعاقبة" أن هذا النوع من السجون يجعل السجناء حاملين للسلطة بداخلهم، وأنهم مراقبون طوال الوقت.
- إلزا غودار. (2019). أنا أوسيلفي إذن أنا موجود تحولات الأنا في العصر الافتراضي. (سعيد بنكراد، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع.
- الصادق الحمامي. (2011). الميديا الجديدة والمجال العمومي الإحياء والانبعاث. مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية (3).
- الصادق رايح. (2013). فضاءات رقمية: قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات (الإصدار 1). بيروت: دار النهضة العربية.
- بيكو باريك. (2008). سياسة جديدة للهوية.. المبادئ العامة لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل. المركز القومي للترجمة، القاهرة (2043).
- حسن مظفر الرزو. (2016). فضاء التواصل الاجتماعي العربي جماعته المتخيلة وخطابه المعرفي (الإصدار 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سعيد لوصيف. (2016). التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التوقعات الاستمولوجية والتقاطعات المعرفية. الجزائر: مخبر استخدامات وتلقى المنتجات الثقافية في الجزائر.

- سعید لوصیف وآخرون. (2016). *التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التوقعات الابدستمولوجية والتقاطعات المعرفية*. الجزائر: مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الثقافية في الجزائر.
- نصر الدين العياضي. (2017). *الفضاء العمومي ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي التشظي وإعادة قراءة المفهوم* (الإصدار 1). الجزائر: مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر.
- وليد خالد أحمد حسن. (2008). *الانترنت والمنظومة التكنو اجتماعية: بحث تحليلي في الآلية التقنية للانترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية*. المحلة العربية للعلوم السياسية (19)، صفحة 198.
- Berry, V. (2012/4). *Ethnographie sur Internet : rendre compte du « virtuel »*. *Les Sciences de l'éducation - Pour l'Ère nouvelle*, 45.
- Cardon, D. (2005). *L'espace public élargi : opinion, critique et expressivité à l'ère d'internet*. Paris Est, École doctorale Organisations, marchés, institutions.
- Cardon, D. (2008). *le design de la visibilité. Un essai de cartographie du web 2.0*. *Réseaux*(152), pp. 93 - 137.
- Claire Balleys, S. C. (2015). *La mise en scène de la vie privée en ligne par les adolescents*. *RESET*.
- Dahlberg, L. (2018, January 31). *Visibility and the Public Sphere: A Normative Conceptualisation*. *Journal of the European Institute for Communication and Culture*, pp. 35-42.
- Fabien Granjon, J. D. (2014). *Médias numériques et participation. Entre engagement citoyen et production de soi*. *MEDIA Centre d'études sur les médias, les technologies et l'internationalisation*.
- Gal, S. (Spring 2002). *A Semiotics of the Public/Private Distinction*. *A Journal of Feminist Cultural Studies*, 13(1), pp. 77-95.
- Granjon, F. (2017, Avril 25). *Résistances en ligne: mobilisation; émotion, identité. variations*.
- Millette, M., Florence , M., & David , M. (2020). *Méthodes de recherche en contexte numérique*. Québec: les Presses de l'Université de Montréal.
- Nathalie, H. (2018). *Ce que n'est pas l'identité*. *Le Débat - Gallimard*.
- Serge, P. (2005). *Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux - modèles - tendances*. *colloque Enjeux et usages des TIC. Aspects sociaux et culturels*. Université de Bordeaux 3.
- Voirol, O. (2005). *Visibilité et invisibilité :une introduction*. *Réseaux*, pp. 9-36.